

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٩)

عبد الله الرحمن الرحيم

مولانا
فضيلة الشيخ / ماهر إسماعيل جاهين

رحمه الله ورضي عنه
وجراه عن الإسلام المؤمنين خير الجزاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أخي الموحد

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته • ومغفرته ورضوانه • أسأل
الله لي ولأخي المؤمن ولعامّة المؤمنين وخاصتهم التوفيق
والسداد بمنه وجوده وكرمه ، إنه نعم المولي ونعم النصير •

أخي المؤمن

بين يدي أخي الكريم درس من الدروس الإيمانية التي كان يجود
بها الحق علي يدي مولانا العارف بالله فضيلة الشيخ / ماهر
إسماعيل جاهين - رحمه الله ورضي عنه ، وجزاه عن الإسلام
والمسلمين خير الجزاء •

وإذا قلت لأخي إن تاريخ هذه الدروس يرجع إلى السبعينات
ولكنها لم تنشر إلى الآن سيعجب أخي ويقول أين كان
المستمعون ؟ وهنا يرد العارفون بالله و يقولون ما قاله مولانا
الراحل فضيلة الشيخ الشعراوي رضي الله عنه ورحمه وجزاه
عن المسلمين خير الجزاء •

لكل شئ ساعة ميلاد

وكانت ساعة الميلاد حينما تلقي أخ مؤمن (شريط الكاسيت) ليستمع إلى درس الشيخ فبهرته عباراته ، ووصلت إلى قلبه كلماته • هذا ولقد صدق بعض العارفين حينما قال (إن لله عباداً كلما اشتدت عليهم ظلمة الوقت كلما قويت أنوارهم • فمثلهم كمثل الكواكب كلما قويت ظلمة الليل قويت أضواؤها وأين أنوار الكواكب من أنوار قلوب أوليائه ؟ أنوار الكواكب تنكدر • وأنوار قلوب أوليائه لا إنكدار لها • فأنوار الكواكب تهدي إلى الدنيا ، وأنوار قلوب أوليائه تهدي إلى الله •^(١)

وهكذا وبعد أن إستمع أخي الطيب إلى ما استمع نسي وقته فسهر ليله وإعتكف في حجرته ليسجل وينقل إلينا هذه الإشراقات الربانية كي يعم النفع وصدق سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم حينما قال (رب مبلغ أوعى من سامع) • هداي وهداك الله أخي سواء السبيل وجمعني وإياك علي صراطه المستقيم وفي جنة (عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)
صدق الله العظيم •

^(١) لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري •

رجاء و اعتذار

أخانا الكريم :

نرجو أن تفتح لنا قلبك قبل أن (تستمع إلينا بأذنيك)
ظلت هذه التسجيلات زمناً غير قصير ، و خشينا أن تمتد إليها
أيدينا فنخرج بها عن المراد حينما نلجأ إلى تغيير أو تبديل ،
و كنا نحس بعبء المسؤولية لقصور أفهامنا ، وضعف إدراكنا ،
حق قيض وهياً الله لنا أخاً شجاعاً فبدأ بالنقل • ونحن بدورنا
شد الله أزرنا ووجهنا إلى العمل ، فقلنا لعل ذلك إذن من
السماء بنشر هذا العلم الجليل •

هذا : وبعد ممارستنا لهذا العمل نعتذر للسادة القراء و المحبين
من ساق الله إليهم هذا الغيث و الرزق العظيم مما يلمسونه بين
أيديهم •

نقدم هذا ونحن نعتذر عن كل تكرار ، أو استطراد ، أو ضعف
للربط بين أطراف الحديث ، وتلك طبيعة الدروس حيث
تختلف كثيراً عن المحاضرة ، لإختلاف مستويات السامعين ،
وتفاوت مداركهم ، و كثرة الأسئلة المتعاقبة التي تدفع كل من
يتصدي للدرس بإعادة معلومة أو تكرارها • ، بل وكانت

أحياناً تدفعه (رضي الله عنه ورحمه) إلى أن يخرج
الموضوع ذاته وحرصاً منا علي المحافظة علي (الهيكل
م للدرس) آثرنا أن ندون الكثرة الكثيرة مما قاله الشيخ ولم
نذف إلا القليل - عملاً بنصيحة داعية إسلامي كبير كان
قد استمع إلى الشيخ وجلس معه . قال : لو كنت مكان من
يصدى لعمل من أعمال هذا الرجل الجليل الملهم . لما حذف
كلمة واحدة مهما تكررت ، لما أري في كل كلمة من كلماته
لوراً وإخلاصاً فمعذرة حيث تركنا الأمر لإخواننا نفعنا
ونفعهم الله بما نسمع ونقرأ فنستخلص ويستخلصون معنا ما
أفاض الله علي الشيخ (رحمه الله) من علم .
وأملنا في هذا النشر أن ينفع الله به عباده المؤمنين ، فإن كان
التوفيق فهو من الله وحده / وحده ، وحده . وإن كان غير
ذلك نقول لأخي القارئ (فاصفح الصفح الجميل) .
وما توفيقنا إلا بالله

أمل ورجاء

نأمل بمشيئة الله حينما يوفق أخونا إلي تسلم نسخة
من هذه الكتيبات ألا نقف بهذا العلم عند القراءة
وكفي .

بل كل ما نأمله لنا ولإخواننا القراء جميعاً أن
يتحول العلم إلي سلوك وممارسة حسب توفيق الله
لنا .

كما نرجو أن تنقل هذه المفاهيم إلي إخواننا
المؤمنين إما مشافهة ، أو بتبادل القراءة .
والله ولي التوفيق ،،،

الدرس التاسع

(عباد الرحمن)

من المعاني التي دار حولها الدرس

- (١) إذا حرم المؤمن ما حرم الله ، وأحل ما أحله الله ، وأدى فرائض الله ، وصان جوراحه عما يغضب الله دخل الجنة .
- (٢) شرعت النوافل جبراً لما يقع في الفرائض من نقص وخلل . و انظروا رحمكم الله تجدوا لكل فريضة نافلة - نوافل الصلاة معروفة نافلة شهر رمضان - صيام التطوع - الأثنين ، و الخميس ، و الثلاثة أيام البيض .
- (٣) الزكاة نافلتها . التصدق علي المساكين / أي ما زاد عن ربع العشر - نافلة الحج العمرة .
- (٤) أهم شيء مطلوب للمؤمن هو إخلاصة وصدقه في العمل فليست العبرة بالكم . بل المعول عليه هو الكيف
- (٥) يجب أن تكون نظرة المؤمن إلي الدنيا كما بينها الحق في قوله تعالى : (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو . . . الآية) فلا يركن إليها . ولا يؤثرها علي الآخرة .

- (٦) السعادة كل السعادة في تطهير النفس وتركيتها ،
والخسارة كل الخسارة في أن يتركها تعيش بأهوائها غير
مقيدة بمنهج خالقها •
- (٧) ما أعظم تلك المقولة (من عرف نفسه عرف ربه) •
- (٨) وصف الله عباد الرحمن بأجل الصفات وأعظمها
وكفاهم شرفاً أن أضافهم إلى اسمه الكريم (الرحمن) •
- (٩) حينما عرض القرآن صفاتهم بين لنا أنهم هم
الذين يستحقون عناية الله و رعايته • فعلي كل مؤمن
أن يتخذهم قدوة ليحشر في معيهم يوم يلقي الله •
- (١٠) إن الله لا يحاسب العبد علي ذنب يرتكبه ، أو معصية
يفعلها إنما يحاسبه علي ترك الإستغفار و التوبة •

عباد الرحمن

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال ما معناه :
أرأيت لو حَرَمْتُ الحرام ، وحَلَّلْتُ الحلال ، وأدَيْتُ الفرائض
أُدخل الجنة ؟ قال (نعم) ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم
بعد أن انتهى الصحابي ومشى : (أفلح إن صدق) بعد هذا قال
الشيخ إذاً فلم كل هذه التكاليف الكثيرة إذا كان ما قاله
الصحابي بإيجاز يدخل الجنة ؟ • ثم بين رحمه الله أن التوافل إنما
شرعت لجبر الفرائض و تعويض ما نقص منها • ووضح بعد
هذا أن الله سبحانه وتعالى لن يسأل العبد يوم القيامة كم
حججت ؟ كم عمرة أدت ؟ كم من الأموال أنفقت في سبيل
الله ؟ لأن المؤمن لن يسأل عن الكم ، بل سيسأل عن الكيف
والإخلاص •

والمولى عز وجل سيلقي عبده يوم القيامة بالجزاء عن العمل
الذي قدمه العبد لخالقه : قال تعالى : (إن للمتقين مفازاً •
حدائق وأعناباً • وكواعب أتراباً • وكأساً دهاقاً • لا يسمعون
فيها لغواً ولا كذاباً • جزاءً من ربك عطاءً حساباً) ساق الشيخ
بعد هذا الآية الكريمة لبيان قيمة الإخلاص و العقيدة في قوله

تعال (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه و المؤمنون) وقول
الله عز وجل (بما أنزل إليه من ربه) ثم نقف (لابد أن يكون
هنا ضوء أحمر) لأن مستوى إيمان المؤمنين لن يبلغ بل لن يقرب
من مستوى إيمان الرسول بما أنزل إليه من ربه ولذلك تعتبر
(الواو) في قوله تعالى (و المؤمنون) استثنائية : لأن إحاطة
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أنزل إليه إحاطة
شاملة دقيقة وتفصيلية • وبلغ إيمانه بما أنزل عليه المستوى
الأعلى الذي يرضي ربه • وهيهات هيهات للمؤمنين مهما
بلغوا من مراتب إيمانية ، ولو علي مستوى الصديقين أن يصلوا
إلا إلي القليل من مستواه صلى الله عليه وسلم ، لأن معني
الإيمان بالله وبما أنزله علي رسوله صلى الله عليه وسلم يقتضي
منا أن نلغي جميع المفاهيم التي تعيش داخلنا ليحل مكانها أمر
الله • وضرب لهذا مثلاً حيث استشهد بالآية الكريمة في قول
الحق (اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ
بَيْنَهُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ
نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مَصْفُراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ
الفرور) •

حينما طلب الحق من عباده المؤمنين العلم بقوله عز وجل: (**إِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ**) مقتضي طلب الله هذا بقوله: (**اعلموا**) يدل يقينا علي أننا نعيش علي مفهوم غير المفهوم الذي طلبه الحق منا - لو لم ير الحق شدة تعلقنا بالدنيا وتغلغلها في دماننا لما طلب منا تغيير مفهومنا - ووضح الشيخ أن ارتباطنا بالدنيا نشأ ساعة الميلاد ، فحينما تعرض الأم الثدي علي الطفل • تلقائياً يقبل بفيه علي الثدي يتعاطاه ، وكأنه مدرب قبل هذا و هنا لا بد لنا من وقفه تأمليه : بالأمس كان في بطن أمه يحصل علي طعامه دون أدني جهد يبذله • فلما نزل إلي الحياة ، ولم يكن له فيها إلا ساعات بدأ يتحرك كي يحصل علي غذائه : نحن نسعي ونكد ونحصل في الدنيا علي مطعمنا ومشربنا وملبسنا • كل ذلك أمر لا غبار عليه - ولكن يجب أن نعلم جميعاً أن متطلباتنا من الدنيا وسيلة وليست غاية ، لأن الغاية من الخلق العبادة (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**)

كلنا نؤمن أن الدنيا فانية وستزول : (اعلّموا إنّما
الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في
الأموال والأولاد ١٠٠٠ الآية)

أقول كما قال العلماء : لعب للأطفال • ولهو : يلهيك عن
الآخرة كما يقول الحق : (ألهمكم التكاثر) أي صرفكم
التكاثر وتنمية المال عن الآخرة •

أو تقول لعب للأطفال ، ولهو : للشباب ، وزينة للنساء ،
بدليل لو عرض الزوج علي زوجته أن يبيع نصف العمارة
لعشّرتي الزوجة بها حلياً لأسرعت إلي الموافقة : و تفاخر •
للشيوخ : هل صدقنا بالدنيا وبصفتها التي وصفها بها الله
وبين في الآية الكريمة أن أيامها تمضي بسرعة فائقة ؟

الله يعلم صفاتنا البشرية التي خلقنا عليها ابتلاء واختباراً •
ومن رحمة الله أنه لم يحاسبنا علي هذه المفاهيم : إنّما يحاسبنا إذا
لُطمنا في العمل للآخرة • و الآية الكريمة التالية تبين أن
الابتلاء والاختبار ليتبين الصادق من الكاذب
من العاصي : قال تعالى : (إنا خلقنا الإنسان من
طينة أمشاج نبتليه) (أمشاج) أعني خليط وليس المراد

بهذا التركيب المادي ، بل الأهم هو التركيب المعنوي ،
أي ما عليه الإنسان من صفات متباينة • أي أضداد • ففي
تركيب الإنسان عنصرا الخير والشر •

(ونفس وما سواها • فآلهمها فجورها وتقواها) بعد هذا البيان
وضع الله المسلم أمام غايته (قد أفلح من زكّاه • وقد خاب من
دَسَّاه) (زكَّاه) : طهرها بفعل الخيرات و الطاعات :
(دَسَّاه) : أخفاها وطمس نور الفطرة فيها بالشرك
و ارتكاب المعاصي • ومن حب الإنسان في الدنيا وشدة تعلقه
بها اقتضت حكمته سبحانه أن يكون هناك نهار وليل (
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا • وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) فلو لم يكن ليل لواصل
الناس عملهم ، ولو واصلوا عملهم دون راحة لدمروا •
ولكنه الحكيم العليم ، الذي خلق كل شئ بقدر : (إِنَّا كُلَّ
شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) •

بين الشيخ بعد هذا أن البعض يفهم إلهام الفجور خطأ
• لكنه وضح هذا الجانب وقال : نحن بإلهام الفجور نتطلع
إلى الجنة حينما يصور الحق جانب الطعام في قوله (وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا
يَتَخَيَّرُونَ • وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ) •

وفي جانب الغريزة (وَخُورَ عَيْنٍ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ)
وفي جانب الشراب (وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ • عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا
المقربون) وقوله سبحانه و تعالى (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ
كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا) وفي جانب الملبس (عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ
سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ • وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ • • الآيات)

ولو لم تكن هنا قصور لما أدركنا ما في الجنة حينما نستمتع إلي
قول الحق : (غُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَبْنِيَةٌ) : (ولقد سبق
التعرض لهذا المفهوم فلكتف بهذا القدر) ونسأله عز
وجل أن يأخذ بأيدينا إلى العمل الذي يرضيه سبحانه وتعالى
و يرضي رسوله صلى الله عليه وسلم •

وأشار الشيخ رضي الله عنه إلي معنى عظيم فقال : إن سيدنا
آدم عليه السلام دخل الجنة : بإلهام الفجور حينما خاطبه
ربه بقوله (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) فحياة الإنسان
في الدنيا قائمة علي الطعام و الشراب ، و الغريزة التي بها
يكون التناسل - فحينما يدعونا القرآن إلي الجنة لن يدعونا
من فراغ فكان لابد أن يدعونا من موضع احتياجنا : لكن
نعيم الجنة يختلف كل الاختلاف الأمر الذي تؤكد السنة

المطهرة (فيها مالا عَيْن رَأَتْ ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علي قلب
بشر) وما أعظم وما أدق التعبير في العبارة الكريمة (ولا خطر
علي قلب بشر) التشابه موجود في الأسماء .

أما المسميات فالله وحده العليم بها . ولذلك قرر الحق
أن تناول المباحات إذا ما تناولناها باسم الله حقق الله لنا
بهذه النية سعادة الدنيا والآخرة .

(كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ)

انتقل بعد هذا الكلام ليوجه إلي المستمعين سؤالاً طرحه عليهم
بقوله : هل وجود الشيطان شر أم خير ؟ نطق الجميع وقالوا
وجود الشيطان شر . فطلب من أحد الحاضرين أن يقرأ سورة
(الرحمن) تلا الأخ بداية السورة حتى وصل إلي قول الحق
(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ • وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ •
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) وفي آية قبلها قال (خَلَقَ الْإِنْسَانَ عِلْمَهُ
البيان) بمعنى أنه بين ما سيكون لعباد الله في الأرض والمعنى
الغريب الذي يتناوله العلماء (علمه البيان) أي بنطقه بين
المراد أي ما يعيش داخل نفسه : لكن الشيخ ذهب إلى معنى
جديد فقال (عِلْمُهُ الْبَيَانُ) أي يبين ما سيكون لعباد الله في

الأرض • ولتوضح هذا نتصور شخصاً اسمه (أسامة) أسامة
هذا سيكون طفلاً ينمو وظل ينمو حتى التحق بالمدرسة
الابتدائية • بعدها حصل على الثانوية • بعدها التحق
بالكلية ، ثم تخرج منها • عمل طبيباً ثم تزوج وأنجب أطفالاً ،
أحمد ، محمد ، سامي : أسامة في هذه المراحل كلها • وما طرأ
عليه من تغير ، وما نزل به من قدر • وما أصبح عليه من غنى
أو فقر : شريط حياته هذا : كل يوم مر بما فيه • وكل دقيقة
بينت ما كتب عليه في اللوح المحفوظ أي بين كل ما قدره الله
على عبده (أسامة) من خير أو شر (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
بِكُتُبَانِ) هذا هو التخطيط الرباني الممثل في القضاء والقدر
وبين أن لطف الله في قضائه وقدره يظهر في حفظ الإنسان من
شرور كثيرة وضرب المثل : ماذا يكون لو سلط الله العقارب
على الإنسان • أو سلط الناموس ؟ • أو : أو • لو لم يتم كل
شيء بحكمه ولطف لكان ما كان للإنسان •

كلنا كمسلمين نتصور أن المراد بالقضاء والقدر قضيه هل
الإنسان مسير أم مخير ؟ أنا أقول لا : كل الكائنات وكل ما

يكون في الكون من حركة وسكون هو منوط ومرتبط بقضاء الله وقدره .

أجهزتنا الداخلية مركبة بقدر : قلب الإنسان غيب : وقلب الإنسان هو المسيطر على جوارحه ومشاعره . وضرب المثل بسيطرة القلب على المشاعر والجوارح فقال قابلت شخصاً ما تُحبه وتستريح له أنت تستقبله بحرارة وتشد على يديه ، وتعانقه لماذا ؟ لأنك تحبه . وآخر لا تستريح إليه تسلم عليه بأطراف أصابعك هذا كله يخضع لتوجيهات القلب ، فلا تكون الحركات عشوائية .

ظل الشيخ يسوق الأمثلة للقضاء والقدر . فقال . لو أنعدم القضاء والقدر لأنعدم خروج الثمرة من الشجرة : بالقضاء وجدت الثمرة قال تعالى (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ • أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) بالقضاء والقدر وجد إنباب الطفل (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ • أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) بعد هذا البيان الشافي قال :

(المؤمن يرى قدر الله في كل شيء)

كي نستخلص ما سبق في الأول الذي عرضة في قول الله تعالى

(إعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو الآية)

قال يجب على المؤمن أمام هذا القول الكريم ، وهذا التوجيه الرباني أن يغير مفهومه عن الدنيا ، فلا يركن إليها ، لأنها ليست دار إقامة كما أنها تمضي بسرعة البرق كما يمر وقت اللعب على الأطفال • وكما يمر وقت اللهو على الشباب • وليعلم كل مؤمن أنه إذا لم يستفرغ هذا المفهوم من قلبه ويتركه بالكلية ليكون المفهوم الإلهي هو الذي يسيطر على القلب •

من لم يفعل هذا فقد خسر خساراً مبيناً • شأن هذا وشأن من خلط بين المفهومين لن ينتفع بهدي الآية الكريمة •

عقد الشيخ مقارنة بيننا وبين الكفار فقال نجح الكفار واحتلوا صدارة العالم في الحضارة لأنهم أخذوا بمفهومهم وأعتقدوه ووجهوا كل عنايتهم إلى الدنيا وأحسنوا العمل فيها ، فلاقضت الحكمة الإلهية أن يكون زمام الدنيا بأيديهم وعجلت لهم ثمرة إخلاصهم في الدنيا (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)

ثم عاد الشيخ ليستكمل تعليقاته على سورة الشمس فقال :
لو لم تكن الشمس لكنت الأرض ظلاماً سرمداً لا ترى النور ،
ولا إنعدمت الحياة على ظهر البسيطة ووضح أن إلهام
التقوى ، وإلهام الفجور يتفاعلان بالإنسان ، وعلى الإنسان
كتفاعل الشمس ، والليل والنهار •

ولعل مراد الشيخ (رحمه الله) أن إلهام التقوى ، وإلهام
الفجور يتناوبان على النفس البشرية كما وضح الحديث
الشريف ما معناه " **أَنَّ لِلْمَلِكِ لَمَّةً ، وَلِلشَّيْطَانِ لَمَّةٌ** " بمعنى
أن الخير والشر خياران أمام النفس البشرية فمن وفقه الله
هداه ، ووجهه إلى الخير وهنا بشره القرآن بالفلاح والفوز •
ومن وجهه الله إلى الشر خذله ، وكانت عاقبته وخيمة • ومعنى
التفاعل مع الإنسان أو بالإنسان الذي يريده الشيخ أن إلهام
التقوى يثمر الطاعة والطاعة بدورها تنعكس على النفس
البشرية فتغيرها برضى الحق سبحانه وتعالى ، وتهدئها إلى
الصراط المستقيم •

أما إذا ألهم الله عز وجل عبده إلهام الفجور ، وسلطت
نفسه عليه الشهوات فأنغمس فيها ويسر الله لها طريق

المعصية فأندفع إليها هنا تكون الملامة والحسرة وظلمة النفس والقلب (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) وحينئذ تكون قد شبهت النفس البشرية بالكون ، وشبهت الطاعات بنور الشمس والقمر : فإذا ما أشرقت الشمس بنورها على الكون تبدد الظلام وأنقشع • وأصبح كل ما يقع عليه البصر واضحاً وضوحاً لا خفاء معه • والحالة الثانية **حينما تذهب الشمس والقمر يسرى العيس المظلام حالك •** وسجان من أمات الليل ، وأحيا النهار •

ولا يفوتنا أن نوضح مرة أخرى معنى إلهام الفجور كما يراه الشيخ : إلهام الفجور له شقان (نصفان) مِنْ إلهام الفجور أن يتخلى الله عن توفيقه لعبدة فيقع في المعصية والعياذ بالله • وهنا يكون صاحبه آثماً ، لأنه ارتكب ما يغضب الله ، وقد يطلق إلهام الفجور • ويراد منه تناول المباحات مثل المأكول والمشرب والملبس ، وإنجاب الأولاد • وهذه الأمور مباحة لأن الله سبحانه وتعالى قد أحلها (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ • وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) وقال في آية أخرى (كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا) •

الأمر الآخر : لو تناولنا الطعام والشراب ، واستعملنا كل
الغرائز البشرية بنية الطاعة ، لأصبحت كل هذه الأشياء من
إلهام التقوى ويثاب فاعلها على ذلك . وتوضح هذا : لو
تناولنا طعامنا وشرابنا لنقوى على الطاعة وعلى السعي على
الرزق عن طرق الحلال ، ولو تزوجنا للعفة والطهر حصلنا
على ثواب الله ومَرْضَاتِهِ .

ولنعد إلى سورة الرحمن لنبين كيف يكون وجود الشيطان خيراً
والله أعلم بالمراد - أن الشيطان بالنسبة للمؤمن أحياناً يكون
خيراً ويتضح هذا في حال عبد لازم الطاعة . ولكن قدر الله
عليه أن يرى نفسه في العمل فأصابه الغرور . بهذا بُعد عن
ربه ، ولكن رحمة الله أدركته فعاد إلى خالقة ، معترفا بتوفيقه ،
مستعيذاً به من النفس ، ومن الشيطان الرجيم الذي زين له
عمله . هنا يكون الشيطان نعمة على المؤمن لأن عودته إلى
خالقة ذليل النفس منكسر الفؤاد . أقرب إلى الله من أي
عمل يعمل ولا يخطر على باله خالقة . وكم من عاص تيقظ
ضميره فعاد إلى ربه بعد أن ارتكب ما ارتكب ، وأحس بما نزل
به من ذل وهوان على نفسه ، . وهنا نذكر الحكمة

(رَبِّ مَعْصِيَةٍ أَوْ رَثْتُ ذُلًّا وَانْكَسَارًا ، خير مِنْ طَاعَةِ أَوْ رَثْتُ
عُجْبًا وَاسْتِكْبَارًا) ويقول العارفون بالله • إن شموع النصر
لا تنزل إلا في ميدان الانكسار • لا شك أن هؤلاء القوم
لهموا الإيمان حق فهمة ، فسعدوا وأسعدوا البشرية بما من الله
عليهم من فضل عظيم •

هذا وليعلم كل مؤمن أن الحق سبحانه لم يخلق شيئاً في الوجود
عبثاً • سبحانه وتعالى جل عن الشبيه والشريك •
فالكفر في حد ذاته كصفة باطل • ولكن وجود الكافرين
حق ، لأن أسمائه الحسنی تقتضى وجود المؤمن والكافر ، والجنة
والنار •

وما من شئ في الوجود خلق إلا لحكمة يعلمها الله سبحانه
وتعالى : تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً •

قد تخفى الحكمة أحياناً عن البشرية ، وبمرور الأيام وتقدم
العلم يظهر سر الله ويعلم الناس مكنون حكمته : (وَمَا أُوتِيتُمْ
مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) من كان يتصور أن السم في الحشرات
يمكن أن يكون دواء ؟ لكنه الله العلي الحكيم الذي خلق : هو
وحده أعلم بما كان ، وبما سيكون (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)

وليتأمل إخواني رحمنا ورحمهم الله دقة التعبير حينما طرح

الشيخ السؤال بقوله : هل وجود الشيطان خير أم شر ؟

كلمة وجود : تتعلق بالحكمة الإلهية • وكما قلنا : إن كل

ما وجد على ظهر البسيطة لا يمكن أن يعتبر شراً لأن الله هو

الخالق ، ولأنه الخالق فهو العليم الحكيم ، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)

وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ولقد قال أهل التصوف (من عرف

نفسه عرف ربه) من عرف نفسه بالجهل عرف الله بالعلم •

ومن عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ

عَزِيزٌ) من عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقوة ، من عرف

نفسه بالذل عرف ربه بالعزة • • أَلْخِ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى

ولذا كما قلنا ونعيده تأكيداً : صفه الكفر باطلية • فالكفر

من حيث هو باطل لكن وجود الكافرين أمر ضروري ،

لأن صفات الجلال تقتضى أن يكون هناك قوم كافرون •

فوجود النار يقتضى وجود الكفر ووجود الجنة يقتضى أن

يكون هناك إيمان •

الشيطان شر • لكن وجوده حكمة وخير : ولذلك ذكر

في تعداد النعم التي تناولتها سورة (الرحمن) (فبأي

آلاء ربكما تكذبان) والآلاء : هي نعم الله سبحانه وتعالى
(وربما كان هذا المفهوم لا يطرأ على ذهن أحد من أمثالنا
البسطاء) (نسأله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد) عاد
الشيخ مرة أخرى ليبين كيف كانت النفس البشرية أعظم
شئ ، لأن الرسل جميعا أرسلهم الله من أجلها • لذا بين
خطورة وضعها من حيث الفلاح والخسران فقال انظروا معي
إلى المَقْسَمِ به تَجِدُونَهُ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ : وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا : بعد
ذلك أقسم " وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاها " " وَالنَّهَارَ إِذَا أَجَلَاها " " وَاللَّيْلَ
إِذَا يَغْشَاهَا " الخ •

كل هذه الأشياء مَقْسَمٌ بها • بعد هذا أتى الحق بجواب
القسم (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا • وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) وبين أن
كلمة سَوَّاهَا لها معنى عظيم جدا حيث دخلت في التسوية
جميع أسماء الله الحسنى وبين معنى التسوية بمثال فقال : غريزة
الغضب موجودة في الإنسان ولا بد منها ، لذلك لكن الحيوان
ليس فيه غريزة الغضب • ولما وصف الله عباد الرحمن •
وهم أرقى الناس في المستوى الإيماني بين أنهم بغضبون لكن
لا يؤدي غضبهم لإزهاق نفس مؤمن (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا) وكلنا يعلم أن العبودية منها العبودية العامة • وهي التي يشترك فيها كل الناس مؤمنهم وكافرهم ومنها العبودية الخاصة فأصحابها هم الذين أشلرت إليهم الآية الكريمة • (وعبادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا • وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا • وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا • وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا • إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا • وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا • وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا • يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا • وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا • وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا • وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا • وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا • أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا • خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) فالعبودية الأولى عبودية الاضطرار ، أما العبودية الأخرى فهي عبودية الاختيار ومعني أنها

عبودية الاختيار ان العبد المطيع يقبل على عبادة ربه راضياً
مختاراً ويكفيهم شرفاً أن الحق أضافهم إليه فحازوا بهذا
شرف الدنيا والآخرة . ومن هذا القليل بيت الله الحرام
ويخص به الكعبة المشرفة . بهذه الإضافة أصبح هذا المسجد
مميزاً عن جميع المساجد في الأرض .

(يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَ) ليس المراد المشي المعروف بل أراد
الحق أن يميزهم عن بقية المؤمنين الآخرين بان أفرغ قلوبهم
عَنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ . ولهذا فالدنيا تعيش في أيديهم
وليست في قلوبهم . مصداقاً لقول سيدنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم : (كُونُوا فِي الدُّنْيَا أَضْيَافاً ، وَاتَّخِذُوا مِنْ
الْمَسَاجِدِ بَيْوتاً) فحياتهم على ظهر الأرض في سر ،
لأنهم موقنون بأنهم إلى زوال .

من أجل هذا فهم يعيشون في تصرفاتهم وفق شريعة الله ،
وتوجيه سيد الخلق صلى الله عليه وسلم الذي قال : (أَحْبَبُ
مِنْ شَيْئٍ فَإِنَّكَ مَفَارِقَةٌ الحديث) (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) معنى هذا أن عباد الرحمن سلوكياتهم
مختلفة تماماً عن عباد الله وبقية المسلمين فهم حينما يساء إليهم

يقابلون ذلك بكظم الغيظ والعفور عن الناس • يؤكد هذا ما
حكاه القرآن عنهم في قوله عز وجل :

(**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**) : ليس المراد الكلام
فقط ولكن أقول أي موقف يواجهون به من قول أو عمل
مسيء إلى الغير فإنهم يواجهونه حسب شريعة الله المثلثة
في قوله عز وجل (**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**)
وقوله عز وجل (**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ**) ولنتأمل دقة التعبير القرآني في قول المولى عز
وجل : (**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**) وصف غيرهم
بالجهل ومعنى هذا انهم عقلاء حكماء عارفون بالله يعرفون
مالهم وما عليهم • فَتَصَرَّفَاتِهِمْ رَبَّانِيَّةٌ ، وَأَخْلَاقُهُمْ مُحَمَّدِيَّةٌ
(**قَالُوا سَلَامًا**) فهم لم يكونوا سلبين بل واجهوهم بالنصح
والإرشاد ، والوعظ ، والتذكير وبالكلمة الطيبة •

فهم في معاملتهم فيما يتصل بحياتهم وتعاملهم مع النفس
(**هُونًا**) فهم لا يتعلقون بشيء ، تكفيهم ضرورات الحياة فيما
يتناولون : وتعاملهم مع الجهلاء سلاما •

الأمر الثالث صلتهم بالله ، وضحت الآية ذلك بقوله عز وجل
(وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا) فهم في منتهى الدقة
في صلتهم بالله أمرا ونهيا ، يسرعون إلى ما أمر سبحانه ،
ويفرون عما نهى عنه ، ويبيتون من البيوتة بمعنى الصَّيرُورة
مثل قولنا (فلان بات رجلا) أي صار وكان تعبير القرآن
عظيما حينما قال الحق **(سُجَّدًا)** لأن السجود هو الشيء
الذي ينكر العبد فيه ذاته ، فالخضوع كله ، والخشوع كله
مثل في السجود ووضع جبهة المؤمن على الأرض فيه العبودية
الخالصة ، ومن شاهد الساجد لا يعرفه ، فشعارهم إنكار
ذاتهم الممثل في قول الله سبحانه **(سُجَّدًا)** لأن في السجود
إلغاء الذات ولذا سمح له الحق بالتقرب **(فاسجد واقترب)** ،
(وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا) ليس الإنفاق
مقتصرا على المال فقط ، بل كل ما يتنفع به المسلم ، فحينما
تسأل عن مكان مسلم ما فتدله عليه فقد نفعت أخاك ،
وحينما تسلم على أخيك المسلم فقد نفعتك : فبالسلام يكون
الأمان (الكلمة الطيبة صدقة) **(قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ**

مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعَهَا أَذَى) (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) لم تحدد الآية

المال • فإمالة الأذى عن الطريق صدقة •

فكل ما ينتفع به أخوك المسلم فهو نفقة في سبيل الله • ولو اقتضت كلمة الأنفاق على المال فقط لكان ذلك خاصاً بالأغنياء ، لكن العموم يفيد السواد الأعظم من المسلمين ، حيث سينفق كُلٌّ عَلَى حَسَبِ مَا يَسِّرُ اللَّهُ لَهُ • فيعم الخير المجتمع الإسلامي كله •

ولا ننس أن الشيطان للمؤمن بالمرصاد • فهو دائماً يقف في طريقه للخير • فهو يدخل على الغنى بوسوسته ويحدثه بأن الدنيا في غلاء متصاعد فعليك بيتك أولاً ولقد صدق الحق (الشيطان يعدكم الفقر الآية) (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنْ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا • إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) •

أي لم يعطوا صفات الجلال والجمال بل هو قائم بالأوامر والنواهي : كما أنه لم يغتر • بَلْ ظَلَّ ثَابِتًا عَلَى الْمُسْهَجِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ الْجَاثِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا) •

(إن عذابها كان غراماً) يدلنا علي أنها حفت بالشهوات
من الغرم الذي هو ضد الغنم . فلا خسارة ولا غرم أكثر
من نزول العذاب بالعاصي المتمرد علي خالقه . أعاذنا الله
وإياكم من نار جهنم . ولقد صدق الحق (فمن زُحِرِحَ عَنِ
النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) .

انظروا رحمكم الله إلي التعبير بقول الحق (زُحِرِحَ) التي تصور
هول الموقف وأن الفائز حقاً من أبعد الله عن فيح جهنم .
(والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
قواماً) (جزي الله شيخنا عنا وعن المسلمين خيراً) فهو دائماً
يرشده الله إلي معان فياضه لينتفع المسلم في جميع جوانب
حياته . تعالوا معنا لنري كيف بين الآية .

قال رضي الله عنه : الإسراف تجاوز الحد في كل شيء . وليس
في المال وحده يكون الإسراف لأن الإسلام يريد منا أن
يكون الفرد منضبطاً في كل تصرفاته . وضرب الأمثلة
الموضحة فقال : حينما تدخل في الصلاة مثلاً لا يرتفع
صوتك بتكبرة الإحرام إلي حدٍّ إزعاج المصلين . ولا تترك
التكبير فتقول يكفي أن أجري التكبير علي قلبي .

ولقد صدق الحق (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافَتْ بِهَا •
وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) • الوسطية هي الصراط المستقيم مثال
آخر جلس المسلم مع آخرين وفي تناوله للطعام كان يتعاطي
دائماً لقمة كبيرة ويقبل علي الطعام بنهم •
ماذا سيحدث ؟ سيتقزز الآخرون منه ، أو يأكل ولا يبالي
بظهور الأكل علي شذقيه • هذه كلها أمور مُنْفَرَّة •
أو يعلم الإنسان المسلم أن في منزله ما يكفيه من اللحوم :
لكنه زاد زيادة كبيرة • كل ما ذكر يدخل في باب
الإسراف ، لأن الإسراف كما بينا (تجاوز الحد في كل شئ) •
والآية يكفينا أنها في صفات عباد الرحمن • وأظن أن المسلم
لو تربي علي هذه المعاني النبيلة لاشك أنه سيكون ملكاً يمشي
علي الأرض ، و ليتأمل دعاة الحضارة الغربية الزائفة ليتأكدوا
كيف تُرَبِّي الشريعة المحمدية أبنائها علي القيم الرفيعة !
ولذلك كان التعبير القرآني مفرعاً للمؤمن حينما يتجاوز
الحد (إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) •

(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ)

مع كل الصفات الحميدة التي ذكرت فهم عرضة للخطر ، لأن النفس الأمارة موجودة ولن يسقط التكليف حتى نهاية الحياة كما بين الحق (وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) •

(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) : أخطر شئ علي المسلم رؤية نفسه بمعنى أن ينسب الفضل و النعمة إلى نفسه ، ويرى أنه أهل لهذه النعم •

كما إذا أكرمك أحد أصدقائك وهو معلوم بين الناس بالكرم لكن الإنسان الذي كرم يرى أن صديقه كرمه لأنه جدير بهذا التكريم • فهو بهذا عاش مع نفسه ، ونسي فضل غيره •

ولذلك يقول الحق : (فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) اذكروني بصفات ربوبيتي أذكركم بمفعولات الأسماء •

فعباد الرحمن يذكرون الله بصفات جماله وجلاله • ولو دعا أحدهم فاستجاب الله دعوته لم ير نفسه أنه أهل للفضل ، وأن الله استجاب له نتيجة تقواه • بل يرى الفضل كل الفضل لله ، فهم بهذا أعطوا الله صفاته نظروا إلى الفضل ، فنسيبوا

الفضل كل الفضل لله - أما هم فليسوا أهلاً للإستحقاق .
فهم دائماً يستكثرون قليل النعم - و يستقلون كثير
الشكر . ولقد صدق الحق : (**وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ
لَا تُحْصُوهَا**) فهي أجل من أن تحصى ، وأعظم من أن تشكر -
وسبحان من يعطي من يشاء بغير حساب . في قول الحق
(**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ**) في قوله
(**اشْكُرُوا لِي**) تخصيص الشكر لله وحده ، فلا يشكر غيره ،
ولا يعبد سواه و هذا نظير ما حكى القرآن علي لسان فرعون
حينما نطق متكبراً يري نفسه أنه وحده العظيم ، الجدير بتلك
الهيمنة (**أَلَيْسَ لِي مَلِكٌ مِّصْرَ**) انظروا رحمكم الله بعد هذه
الصفات الجميلة العظيمة التي مَنَّ الله بها علي عباد الرحمن
فإن الغرائز البشرية موجودة ومُتَلَازِمَةٌ معهم ، واحتمال
الشرك موجود ، لأن استقلال الإرادة بالإنسان موجود .
وهي التي تجر الإنسان إلي الشرك .

لقد برأ الله عباد الرحمن بقوله عز وجل : (**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ
مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ**) فنفي عنهم ورود خواطر الشرك
وحفظهم منه . ثم وضع هذا بمثال فقال لأحد الحاضرين

هل جئت إلى هنا مضطراً أم مختاراً ؟ فقال جئت باختيارى
قال الشيخ : ذلك إرادة ، وفي نفس الوقت لك قدرة • وما
دامت لك إرادة وقدرة • فهذا هو مدخل الشيطان حيث
يُصور لضعيف الإيمان أنه حضر بإرادته ، وفعل هذا بإرادته •
فهو يعيش في الدنيا بإرادته • أما إرادة الحق المهيمنة فهي
غير واردة علي قلبه • وهذا هو الشرك الذي يخشى منه
علي العباد و المتدينين ، ويحذر الشيخ من هذا فيقول :
إن الإحساس بهذا أي باستقلال إرادة الإنسان عن ربه
غفلة ، و علي المؤمن أن يحاول الخروج منها (وَلَا يَقْتُلُونَ
النَفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) غريزة الغضب موجودة ،
لأنه لو لم توجد في الإنسان غريزة الغضب لزل إلى مرتبة
الحيوان ، خاصة و الغضب لله من ضرورات الإيمان ، وحذرنا
الشيخ من خطورة الغضب فقال إن شدة الغضب تجر
إلى القتل و العياذ بالله وهو من أخطر مداخل الشيطان ،
لأن الإنسان إذا ما غضب فَقَدْ سَيَّطَرَ علي أعصابه
والقاتل قبل أن يقتل ما كان يخطر علي باله أنه سيقتل ولكن
اتباع خطوات الشيطان هي التي يسرت له القتل • ولنتأمل

في قول الحق : (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

مبين) لأن المؤمن بطبيعته - ونقول بالطبيعة - الإيمانية يفر من المعصية لأنه يخاف خالقه ، بداية لا يمكن أن يتصور أنه سيُزني وأتينا بمثال الزني لأن وضوح خطوات الشيطان فيه بارزة ملموسة : ولذا قالوا نظرة فابتسامة فسلام . فكلام فلقاء أليس هذا هو ما يحدث للعشاق (حفظنا الله جميعاً من غَضَبِهِ) ومثل هذا هو ما يحدث للقتل .

يسمع الإنسان كلمة نايه . و يحاول أن يتجاوز الأمر . هنا يحضر الشيطان أين كرامتك و شهامتك ؟ لو لم تُعِنْفِه وترد عليه الصاع صاعين لاعتبرك ضعيفاً . و لجرؤ عليك و لتكرر هذا معك ، فيرد عليه بأشد مما سمع فيشتد الجدل ، وينتفخ الشيطان ، ويقوى أمره ، لأي أظهرت الاستعداد بادئ ذي بدء ونفذت رغبته ، بعد هذا يحدثه : أحضر سكينه من عندك ، أو أخرج السلاح الذي معك . حاول فقط أن تخيفه منك حتى توقف تهوره : ها هو ذا المسكين قد استمع إليه مرة أخرى ونفذ مراده . بعد هذا فاجأ عدوه بطعنه كانت قاتلة . ثم تكون الصحوة المريعة : أليس ما حدث

نتيجة لكلمة طائشة ؟ لو لم يستمع إلى نداء الشيطان .
ولو التجأ إلى ساحة الرحمن و تذكر قول البرئ : (**وَالْكَافِرِينَ
الْغِيظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**) لو تمسكنا
بهذا لسعدنا ولعشنا في ظل الكرامة الإيمانية التي طالبنا
الحق بأن نتربي عليها . لكننا نقول و الأسف يملاً ضلوعنا -
رَبَّنَا عَلَيِ الْكِرَامَةِ الشَّيْطَانِيَةِ نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَأَنْ يَرُدَّنَا
إِلَى الْحَقِّ .

ولذلك استثنى الحق من حرمة القتل فقال في حق عباد الرحمن
(**وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**) أي في حالة
القصاص و الحاكم هو الذي يتولى ذلك .

(**وَلَا يَزْنُونَ**) الغريزة موجودة من بداية الخلق حيث أشار
القرآن الكريم إليها (**اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**) .

وبين الشيخ أن الغريزة يترتب عليها النسل ، ولو انتهت
الغريزة لأصبح النسل محدوداً أو معدوماً .

أمر القرآن الغريزة وشجع علي ذلك بقول الحق : (**فَأَنْكِحُوا
مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ**) .

وأشار الشيخ إلى أن الغريزة الجنسية من أخطر الغرائز • وهي مصاحبة للإنسان حتى نهاية حياته • لكن الذي يظهر هو ضعف القدرة علي تحقيق تلك الغريزة وقال : إن الرجال بعد الستين يتألمون لضعف القدرة فيهم أو انعدامها ولذلك فهم يطلبون أن يتزوجوا امرأة أخرى صغيرة ظناً منهم أن ذلك سيعيد إليهم شبابهم • و تسمى هذه المرحلة مرحلة المراهقة الصغرى ، واستدل بما روي عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : والله ما خفت علي نفسي من الزنى اشد مما أخافه الآن (قال ذلك بعد الثمانين) فلما سئل كيف هذا ؟ قال : لأن الغريزة موجودة والشيطان موجود و الجنس موجود ، وخطورة الغريزة كما بينا بدأت من الأول : (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) و استمراريتها واضح في قول الحق ﴿ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَ الْحَرِّ ذَلِكَ مَتَلَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) بعد هذا قال الحق : (قُلْ أُوتِيتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ

بالعباد) انظروا إلى المقابل أزواج مطهرة أي (**حور العين**) أي في تكوينها ، وكل شئ في الجنة علي قدر الجزاء ، بمعنى أن الفاكهة و الحور العين (كل ما في الجنة) علي قدر الرتب ، وقال ما أشبه هذا بالرتب العسكرية فحينما ننظر إلي كتف الضابط تعلم أن هذا بمرتبة ملازم • وهذا بمرتبة عقيد • وهذا بمرتبة عميد أو لواء • هكذا سيكون جزاء كل مؤمن علي قدر عمله وما قدم له في الجنة علي قدر هذا الجزاء •

(**ومن يفعل ذلك يلق آثاما**) إذا ما ذكرت كلمة (**يفعل**) يعني بمشيئته وهواه : **والمشيئة** إذا ذكرت في القرآن مقابل التكليف يكون الإنسان هو المخاطب مثل قول الله عز وجل : (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**) أي لمن يشاء الاستغفار والإنابة إلي الله أما المشيئة التي تتعلق بالإيجاد والإمداد فهي مشيئة الله ، مثل قول الله تعالى (**وَلَوْ شَاءَ رَبِّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً**) فهذه هي المشيئة العلوية : مشيئة الحق جلا علاه : لا يستطيع أي مخلوق كائن من كان أن يتدخل أو يؤثر فيها ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا •

وإذا كان عمل الإنسان علي مقتضى الشرع كان (عملا)
(إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات) ومن الأول : (والذين
إذا فعلوا فاحشة) لأنه فعل مقترن بهوى النفس • ومنه
(هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) وقول الحق :

(إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة
وكذلك يفعلون) أحيانا تأتي كلمة يعمل و يراد منها الشر
كما في قول الحق (ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره) هذا التعبير يسمي في علم البلاغة
بالمشاكلة • وما يقوله الشيخ ويوضحه هو الغالب •

(ومن يفعل ذلك يلق أثاما • يضاعف له العذاب يوم القيامة
ويخلد فيه مهانا • إلا من تاب وآمن • • • الآيات)

وهنا سأل أحد الحاضرين عن معنى قول الله تعالى : (إنما
التوبة علي الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من
قريب) •

(وجرت عادة الشيخ رحمه الله ألا يرد سائلا وكما نري
كثيرا ما تكون الأسئلة لا تمت للموضوع بصلة • ولكن

يأبى خلقه الكريم أن يشعر أي سائل بتجاوزه ، أو ضعف سؤاله أيا كان . ولذا أدى هذا إلى عدم تسلسل الأفكار) .
وللإجابة عن هذا السؤال بين معني قول الله (**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ**) فقال : هناك فرق بين السوء والسيئة . ومعني الجهالة أي جهالة الطبع و ليست جهالة العلم . ووضح هذا بمثال : لو سلمت علي أجنبية لا إثم في ذلك ولا حرج ، ولكن لو شعر الإنسان بارتياح - الإحساس بالارتياح وضع طبيعي لأن الغريزة موجودة - هذا الإحساس هو السوء وهو جهالة الطبع لأن تركيب الإنسان يقتضي هذا .

إذا استمر الإنسان الذي يسلم علي الأجنبية في وضع يده : انتقل السوء إلى سيئة وهنا يأثم فاعل هذا .
وهنا تكون المسألة محسومة : أي أن الله سبحانه لا يحاسب العبد علي هذا الإحساس إنما يحاسبه علي نية ارتكاب الذنب والإصرار عليه ولذلك كانت الآية القرآنية من هذا القبيل (**وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي**) أي أنها في طبيعة تكوينها تميل إلى السوء دائما إلا من

طَهَّرَ نفسه وزكاها بالطاعات إذا زكى المسلم نفسه بالطاعات
انتقلت إلى النفس اللوامة • فإذا ما عشقت الطاعة
وتعودتها : انتقلت إلى النفس المطمئنة : ثم إلى النفس
الراضية وهكذا يكون توفيق الله لعبده حسب قربه منه
وإخلاصه له •

وليس معنى هذا أن الإنسان الذي ترقى بالإيمان أنه غير
معرض للانتكاس • بل رجوعه إلى الزلات محتمل حتى ولو
كان صَدِّيقًا ، لأن الأولياء محفوظون ، والأنبياء معصومون ،
فالعصمة وحدها هي التي يستحيل معها الوقوع في الذنب ،
ولذلك فمن نور الله بصيرته يظل مرتجفًا خائفًا ، ذليلاً
منكسرًا ، (وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) ولذلك كان
يقول لو وضع الطبيب يده ليكشف على سيده لا حرج
عليه ، لأن عصمة المهنة تحفظه • لكن إذا ما شعر بارتياح •
هنا دخل الشيطان • فكان لابد للمؤمن من الانسحاب •
ولا يؤاخذ الله عما بدا أولاً لأن هذا مرتبط بتكوينه •

ولذلك قيد الحق ذلك بقوله (ثُمَّ يَتَوَبُّونَ مِنْ قَرِيبٍ) قبل أن
يتحول السوء إلى سيئه • بين بعد هذا : أن أصدق سلوك

للمؤمن تفاعله مع الله ، وأعنى به الإيمان بالمقدور فحياة المسلم كلها مرتبطة • بالقدر • ما يصيب العبد من خير أو شر : إن وجد خيراً شكر • وإن وجد ضراً صبر • ومن يتأمل حديث سيد الخلق سيدنا رسول الله صلى عليه وسلم يتأكد من هذا ويتبينه حيث قال : **" وأعلم أن ما أطابكم يكن ليخطئكم • وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم** التقوى في ثلاث ترك المحذور • لأننا سبق أن قلنا في التقوى ، والرضا بالمقدور ، فعل المأمور والمؤمن في فعله المأمور مع الملائكة الكرام (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون) والأمر الآخر ترك المحذور : بمعنى البعد عما نهى الله عنه • هذه أعمدة التقوى واحتمال وقوع المعصية من المؤمنين أمر محتم يقتضيه الإيمان • فكونه سبحانه غفوراً ، غفاراً يستلزم أن توجد المعصية حتى لا تعطل الصفات • والله سبحانه وتعالى يُقَدِّرُ المكروه (المعصية) ، ليحصل الخبوع (التوبة) (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)

أتى بالفعل يحب مرتين (التوابين) هم الذين رأوا أنفسهم في الفعل ، وشاهدوا ذاتهم فيرجعون بالهام التقوى إلى

ربهم • وهم بهذا خلصوا أنفسهم من شهود رؤيتهم
أنفسهم ، ورجعوا إلى ربهم تائبين عما كان منهم (وهنا
ارتفعت أصوات المستمعين جميعاً • يا سيدنا الشيخ • حلمك
علينا شويه الموجه عالية جدا • عاوزين حاجة تناسب مستوانا
علما بأن من الحاضرين من هم في مستوى عالٍ جدا من
الثقافة والإطلاع والإيمان بفضل الله • فهم كوكبه من العلماء
الأجلاء) •

نقول هذا بصدق ، لا نهدف أكثر من أن ننقل صورة حيه
مسموعة لنعلم فضل الله على عبادة العارفين بالله جميعاً • لا
نخص فردا ، ولا نتعصب لفرد • بل نحاول أن نبرز حقائق
الصلة بالله واضحة فيمن يحبه الله ويرضى عنه •

(إن الله لا يحاسب عبده على ذنب يرتكبه : أو معصية
يفعلها ، إنما يحاسبه على عدم الاستغفار والرجوع إلى ربه)
لماذا لا يمثل العبد لأمر خالقه في قوله : (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا • يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا • وَيُمْدِدْكُمْ
بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) عدم
التوبة إلى الله تعطل صفة الله في كونه غفارا ولذلك من اخطر
الأحاديث التي وردت في هذا أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال في الحديث ما معناه : " لو لم تذهبوا لأنبي الله
بقوم يذنبون • فيتوبون • الخ الحديث ولقد مر التعليق
عليه في كتيب سابق •

قال الشيخ : الحديث في ظاهره خطير • من يقرأه يتصور انه
يدعونا إلى ارتكاب الذنوب وهذا محال • الإنسان بحكم
بشريته يعيش في الظلمات • والرسول عليه الصلاة والسلام
إنما جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور • والحق يقول
(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)
ويقول في آية أخرى (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ)
ووصف الرسول عليه الصلاة والسلام بالسراج المنير ليسوق
المؤمنين إلى الله •

أحيانا المؤمن لا يشعر بأنه مذنب " لذا جاء الحديث لينبه
المؤمن بأن الإنسان بحكم بشريته معرض لإرتكاب الذنوب
ليعرف أن توحيد الله يقتضي ذلك ويكون المعنى : لو
لم تقدروا أنكم مذنبون وتوقنوا بأن الله غفور رحيم لأتي
بقوم يذنبون فيتوبون • الخ

قدوتنا في طلب الاستغفار سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة ، فلما سأله الصحابة قال " أفلا أكون عبدا شكورا ؟ وها هو ذا في طلبه الاستغفار كان يقول " اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي ، وعمدي ، وجدي ، وهزلي ، وإسرافي في أمري ، وكل ذلك عندي "

قال هذا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يمثل الرسالة كَكُلٍّ ، يؤيد هذا ما جاء به الحق في قوله : (وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبُطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) الظاهر أن المخاطب هو الرسول عليه الصلاة والسلام . وكما قلنا خوطب لأنه يمثل الرسالة . ولأنه خاتم الأنبياء والمرسلين كان الخطاب له . ونحن نعلم جميعا أن الرسول عليه أفضل صلوات الله وأزكى تسليماته . لا يصدر منه ذنب لأنه معصوم بدليل قول الله سبحانه وتعالى : (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) لا يمكن أن نفسر العصمة بمعنى الحفظ لأنه عليه الصلاة والسلام وقعت عليه أضرار كثيرة من الناس

فلقد رمي بالحجارة • ونزل به الكثير من الأذى من جانب
المشركين : إذا فلا بد لنا أن نبين معنى العصمة •

أولا الناس لهم طبائعهم • وهو من جملة الناس • ولكننا
نوضح ذلك بقولنا أن ما كان عليه الناس من طبائع وغرائز
نحن نعصمك من هذه الطبائع والغرائز ، لأن طبائعك وغرائزك
مقيدة بالنبوة والرسالة •

فلا يكون منك هوي ذاتياً • بل كل غرائزك وطبائعك ربانية
لأن الله هو الذي رباك وصنعك • وجعلك على نموذج خاص
ألا وهو النموذج الرباني •

أما كافة الخلق فغرائزهم بشرية مهما بلغوا من درجات الإيمان
والمعنى الذي عليه الجمهور أنه يعصمك من الناس فلا يكون
منهم قتل ، ولن يتمكنوا منك • ولهذا لما سئل الشيخ عن
هذا المعنى قال هذا صحيح • وكل يأخذ من المعاني على قدر
طاقته • والله سبحانه الموفق للصواب • وهو وحده بيده
التيسير ثم إحتتم الشيخ بالدعاء الآتي :

وقبل أن نذكر الدعاء رأينا أن نضيف معنى سمعناه من شيخنا
في تفسير قول الله تعالى في وصف عباد الرحمن:

(وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا)

قال القرآن يفسر بعضه بعضا معنى (كراماً) يفسرها قول الحق في سورة المؤمنون (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ • وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)

يوضح هذا الحديث النبوي الشريف ما معناه (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيراً أو ليصمت) و سبحانه اللهم وبحمدك نشهد ألا إله إلا أنت نستغفرك ، ونتوب إليك " ومما دعا الشيخ به في نهاية هذه الليلة الكريمة :

(اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا يارب علماً ، اللهم إنا نسألك علماً نافعاً ، وقلباً خاشعاً ، ونوراً ساطعاً ، ورزقاً واسعاً ، وشفاءً من كل داء ، اللهم اغن فقراً ، واجبر كسرنا ، وعز ذلنا ، ونور بصائرنا ، واغفر ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار ، وألحقنا بالصالحين والأخيار ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم •

والحمد لله رب العالمين بداية ونهاية •

١٥ - شعبان سنة ١٤٢٥ هـ

٢٩ - سبتمبر سنة ٢٠٠٤ م